فبما رحمة من الله لنت لهم الآية قال السمرقندي ذكره الله منته أنه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين
رؤوفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن جعله الله تعالى سمحا
سهلا طلقا برا لطيفا هكذا قاله الضحاك وقد قال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال أبو الحسن القابسي أبان الله تعالى فضل نبينا عليه السلام وفضل
أمته بهذه الآية وفي قوله تعالى في الآية الأخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء
على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا الآية وقوله
وسطا أي عدولا خيارا ومعنى هذه الآية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بأن جعلناكم
أمة وسطا خيارا عدولا لتشهدوا للأنبياء على أممهم ويشهد لكم الرسول بالصدق قيل إن الله تعالى
إذا سأل الأنبياء هل بلغتم فيقولون نعم فيقول أممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد أمة محمد عليه السلام
للأنبياء ويزكيهم النبي عليه السلام قيل معنى الآية إنكم حجة على كل من خالفكم والرسول حجة عليكم
حكاه السمرقندي وقال الله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة و
الحسن وزيد بن أسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن أيضا هي مصيبتهم
بنبيهم (بموته عليه السلام) صلى الله عليه وسلم وعن أبي سعيد الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع
صدق عند ربهم قال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة أودعها في محمد صلى الله
عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو إمام الصادقين والصديقين الشفيع المطاع والسائل
المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث** فيما ورد في خطابه إياه مورد الملاطفة
والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال أبو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة
أصلحك الله وأعزك الله وقال عون بن عبد الله أخبره بالعفو قبل أن يخبره بالذنب وحكى السمرقندي
عن بعضهم أن معناه عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه
ثم قال له لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته
عند الله تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب
وقال نفطويه ذهب ناس إلى أن النبي عليه السلام معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان
مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله تعالى أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا لنفاقهم وأنه لا حرج عليه في الإذن لهم
قال القاضي الفقيه أبو الوليد يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة خلقه أن يتأدب بآداب

المطيع القرآن

القرآن في قوله وفعله ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الآداب الدينية
والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من رب الأرباب المنعم على الكل المستغني عن
الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد وكيف ابتدأ بالإكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ب
إن كان ثم ذنب وقال الله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب
الله تعالى الأنبياء بعد الزلات وعاتب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك
أشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته وسلامته قبل
ذكر ما عتبه وخيف أن يركن إليه ففي أثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه تأمينه وكرامته ومثله قوله تعالى
قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك الآية قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال أبو
جهل للنبي عليه السلام إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك الآية و
روي أنه عليه السلام لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
إنهم ليعلمون أنك صادق فأنزل الله تعالى هذه الآية ففي هذه الآية منزع لطيف المأخذ من تسليته
تعالى له عليه السلام وإلطافه في القول بأن قرر عنده أنه صادق عندهم وأنهم غير مكذبين له معترفون
بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الأمين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه
بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال الله تعالى ولكن الظالمين بآيات الله
يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب الآيات حقيقة الظلم إذ الجحد إنما يكون ممن
علم الشيء ثم أنكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره
عمن قبله ووعده النصر بقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الآية فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف
فمعناه لا يجدونك كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون إنك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك
ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه ولا ينسبونك إلى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما
ذكر من خصائصه وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال تعالى يا آدم يا نوح
يا إبراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو إلا يا أيها الرسول يا أيها النبي يا أيها
المزمل يا أيها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه عز وجل بعظيم قدره عليه السلام قال الله تعالى لعمرك إنهم
لفي سكرتهم يعمهون اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله تعالى بمدة حياة محمد صلى الله عليه وسلم و
أصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك
وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف وقال ابن عباس ما خلق الله تعالى وما ذرأ وما برأ نفسا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)